مناقب الشافعي

لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي

٣٨٤ - ٤٥٨

تحقيق

السيد أحمد صقر

الجزء الأول

مكتبة دار التراث

٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة

ٮسم الله الرحمں الرحىم

الحمد لله رٮ العلمىں الرحمں الرحىم

ملك ىوم الدىں

اىاك ٮعٮد واىاك ٮسٮعىں

اهدٮا الصرط المسٮقىم

صرط الدىں اٮعمٮ علىهم

عىر المعصوٮ علىهم ولا الصالىں

بسم الله الرحمن الرحيم

شغف البيهقي بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنفق حياته في تحصيلها ودرسها وإيصالها نقية بيضاء إلى أبناء الإسلام الذين افترض عليهم ربهم أن يأخذوا ما آتاهم الرسول ، وأن ينتهوا عما نهاهم عنه ، والذين أمرهم رسولهم الكريم أن يبلغوا عنه مقالته إلى من بعدهم لتكون كلمة الله وكلمة رسوله باقية على وجه الزمان؛ تنير للمسلمين سبيلهم ، وتدير على الحق أعمالهم وأقوالهم ، وتجمع قلوبهم على عبادة من خلقهم ورضى لهم الاسلام دين عزة وسعادة في الدنيا والآخرة .

* * *

وقد دفعه هذا الشغف العظيم إلى العناية بآثار الشافعي : ناصر السنة ، ومؤسس فقهها ، وفاتح أقفالها ، والذى شهد له أعلام العلماء بأنهم ماعرفوا فقه السنّة إلا بعد أن استخرج مكنونها ، واستنبط فنونها ، وجلّى دقائقها ببيانه المشرق المتين ، وأسلوبه الجزل الرصين .

وما كانت عناية البيهقي بآثار الشافعي وليدة الخطرة العابرة ، والفكرة السائرة ، والنظرة الطائرة ، بل كانت وليدة التأمل الوثيق ، والتفكر العميق ، والاعتبار الدقيق ، والمقايسة بين ما كتبه أعلام الأئمة الذين قاموا بعلم الشريعة ، وبنوا مذاهبهم على مبلغ علمهم من كتاب الله ، وسنة رسول الله .

وقد انتهت تلك المقايسة بالبيهقي إلى عرفانه أن الشافعي أكثر الأئمة اتباعا ، وأقواهم احتجاجا ، وأصحهم قياسا ، وأبينهم بيانا ، وأفصحهم لسانا ،

وأوضحهم إرشادا فيما صنف من كتب فى الأصول والفروع جميعا .

ولما فرغ البيهقى من تصنيف مصنفاته فى السنة ألف كتابا عن منشئ السنة وهو كتاب « دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم » .

ولما انتهى من ترتيب كتب الشافعى وتصنيفها وتخريج أحاديثها رأى كذلك أن يخص الشافعى بكتاب ، وقوّى من عزمه أن بعض أصحابه اقترح عليه تأليف هذا الكتاب ، وفى ذلك يقول : « وقد سألنى بعض أصحابنا من أهل العلم والبصيرة أن أجمع كتابا مشتملا على ذكر مولد الشافعى ونسبه ، وتعلمه ، وتعليمه ، وتصرفه فى العلم ، وتصانيفه ، واعتراف علماء دهره بفضله ، ومايستدل به على كمال عقله ، وزهده فى الدنيا ، وورعه ، واشتهاره بخصال الخير ومكارم الأخلاق ـ فى وقته وبعد وفاته ـ فأجبته إلى مسألته ؛ اقتصاراً منى فى ذكر معرفته بالفقه ، وحسن مناظرته على تسمية تصانيفه ، وطرف من حكاياته دون ذكر كيفية تصرفه ؛ فإن العلم به إنما يقع بالنظر فى كتبه المصنفة فى أصول الفقه ثم فى « المبسوط » المردود إلى ترتيب المختصر ، ثم فى « السنن » حتى خرجتها على مسائل « المبسوط » فى مائتى جزء وأكثر ، ثم بالنظر فى كتاب « معرفة السنن والآثار » والذى أوردت فيه كلام الشافعى على الأخبار ، بالجرح والتعديل ، والتصحيح والتعليل فى سبعين جزءا ، ثم فى كتاب « المدخل » المخرج على أصوله

فيستدل بذلك على صحة أصول الشافعى ، وحسن بنائه الفروع عليها ، موافقا لشريعة المصطفى فى اتباع الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، وآثار

الصحابة ، والقياس على ماثبت بأحد هذه الأصول .

وقد اعترف البيهقى بأنه قد سبق إلى التأليف فى هذا الموضوع حيث يقول:

« وقد صنف جماعة من أهل العلم فى فضل الشافعى ، ومناقبه كتبا مشتمله على ذكر مانقل إليهم من أحواله الجميلة ، وأقواله الحسنة ، وأفعاله المحمودة ، وماخص به من الجمع بين علم الأصول والفروع فى أحكام الشريعة ، ومشاركة غيره فى سائر أنواع العلوم » .

ولم يكن البيهقى فى حديثه هذا بسبيل ذكرها وذكر أصحابها ، ولكنه كان يريد الاستشهاد بما ذكره على صحة جواز أن يكون الشافعى هو المراد بحديث عالم قريش ؛ لأن الشافعى كما قال : « قد صنّف الكتب ، وفتق العلم ، وشرح الأصول والفروع ، وعلا فى الذكر بما ألف وشرح ، وفتح الله على لسانه العلم الكثير ، ومر فى آذان السامعين ، ووعته القلوب ، فازداد على مر الأيام حسنا وبيانا » .

ولكن البيهقى قد ذكر فى ثنايا الكتاب : الكتب المصنفة فى فضائل الشافعى التى روى عنها أو قرأها ، وهى :

(١) كتاب أبى سليمان: داود بن على الأصفهانى، إمام أهل الظاهر (٢٠١–٢٧٠).

(٢) « أبى عبدالله : محمد بن إبراهيم البوشنجى ، المالكى (٢٠٤ – ٢٩٠)

(٣) « أبى يحيى : زكريا بن يحيى الساجى المتوفى سنة ٣٠٧

(٤) « أبى محمد : عبد الرحمن بن أبى حاتم (٢٤٠ – ٣٢٧)

(٥) كتاب أبي الحسن : محمد بن الحسين الآبرى العاصمى . المتوفى سنة ٣٦٣

قال السبكي عنه : وهو كتاب حافل رتبه على أربعة وسبعين بابا.

(٦) كتاب الصاحب بن عباد (٣٢٦ - ٣٨٠)

(٧) « أبي منصور : محمد بن عبد الله بن حمشاذ (٣١٦ - ٣٨٨)

(٨) « أبي بكر : محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا الشيباني المتوفى سنة ٣٨٨

(٩) « الحاكم النيسابوري أبي عبد الله محمد بن عبد الله ، المعروف

بابن البيّع ، قال عنه ابن السبكي : وهو مصنف جامع (٣٢١ - ٤٠٥)

(١٠) كتاب أبي القاسم : حمزة بن يوسف السهمي المتوفى سنة ٤٢٧)

(١١) « أبي نعيم : أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠

وقد ألّف في مناقب الشافعي قبل البيهقي أو في عصره كثير من العلماء —

عدا هؤلاء ، لكن لم يشر إليهم البيهقي في هذا الكتاب ومنهم :

(١) أبو حاتم : محمد بن حبان البستي صاحب الصحيح (المتوفى سنة ٣٥٤)

(٢) أبو علي : الحسن بن الحسين بن حمكان الأصبهاني (المتوفى سنة ٤٥٠)

(٣) أبو عبد الله : محمد بن أحمد شاكر القطان (المتوفى سنة ٤٠٧)

(٤) إسماعيل بن محمد السرخسي القراب (المتوفى سنة ٤١٤)

(٥) أبو منصور : عبد القاهر بن طاهر البغدادي (المتوفى سنة ٤٢٨)

(٦) أبو عبد الله : محمد بن سلامة المصري (المتوفى سنة ٤٥٤)

وقد ألف أبو الحسين : محمد بن عبد الله الرازي (المتوفى سنة ٣٤٧)

والد تمام الرازي (٣٣٠ — ٤١٤) كتابا مستقلا فيمن روى عن الشافعي ،

ولكن البيهقى لم ينقل عنه ، وإنما نقل عن كتاب « أسامى من روى عن الشافعى » للدارقطنى .

* * *

بدأ البيهقى كتابه ببيان فضل أهل الحديث ، وأنهم الطائفة القائمة على إحقاق الحق حتى تقوم الساعة ، كما وعد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

ثم تحدث عن فضل قريش وما جاء فى تخصيصها بالتقديم والاتباع ، وأن الشافعى هو المشار إليه بحديث النبى ،صلى الله عليه وسلم: أن عالم قريش يملأ طبق الأرض علما .

ثم تحدث عما جاء فى تخصيص بنى هاشم بالاصطفاء وبنى المطلب الذين ينتمى إليهم الشافعى ، وتفضيل أهل اليمن بالإيمان ، والفقه ، والحكمة .

ثم فصل القول فى حديث : « يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » وتأويل بعض العلماء لهذا الحديث بأن الذى جاء على رأس المائة الثانية هو الشافعى .

ثم نقد البيهقى العلماء الذين ظفروا بالوجاهة والعز والثروة عند الرؤساء ، ونالوا من الشافعى ، ورموه بأنه كان قليل العلم بالكتاب ، وأنه لم يكن من أهل الاجتهاد ، وأعقبه بالحديث عمن آذى قرابة الرسول أو أراد هوانهم ، ثم بين سبب تأليفه للكتاب .

وتحدث بعد ذلك عن مولد الشافعى ، ومكان ولادته ونسبه ، وأفاض القول فى ذلك إفاضة شافية مقنعة .

ثم تحدث عن تعليم الشافعى ، وما روى فى اشتغاله بتعلم الأدب والشعر وعن رحلته وهو ابن ثلاث عشرة سنة إلى مالك بن أنس بالمدينة .

ثم بين خروج الشافعى إلى اليمن وولايته بعض أعمالها ، ومقامه فيها حتى

اتهم بالاشتراك فى مؤامرة بعض العلويين بها ، وحمله إلى الرشيد وحبسه ببغداد ، وما كان بينهما من محاورات ومراجعات انتهت بعفو الرشيد عنه ، وإكرامه له .

ثم أسهب فى بيان المناظرات الرائعة ، والمحاورات العلمية الشائقة ، التى جرت بين الشافعى وبين محمد بن الحسن الحنفى فى مجلس الرشيد ، وفى غيره من المجالس بمدينة بغـــداد ومدينة الرقة ، وأن الرشيد كُتِبَ له بخبر تلك المناظرات التى ظهر فيها الشافعى على محمد ، وقطع حجته ، وطبع على فمـه بخاتم الصمت ، فأعجب الرشيد بموقف الشافعى الهاشمى ، وقال : « وما يُنكَر لرجل من عبد مناف أن يقطع محمد بن الحسن ؟ » وأمر له بجائزة ، ورغب إليه فى أن يلازمه ، كما رغب إليه المأمون فى ذلك .

ثم بين مكانة الشافعى عند الرشيد والمأمون ، وعودة الصفاء والإخاء بين الشافعى ومحمد بن الحسن ، وكتابة الشافعى لكتب محمد ، وتأليف الكتاب البغدادى للرد على الأحناف ، ورأى الشافعى وغيره فى أبى حنيفة وأصحابه .

ثم تحدث عن صحة نية الشافعى ، وقصده الجميل فى تأليفه لكتبه ، وحسن مناظرته لمن خالفه ، وغلبته كلَّ من ناظرة بالعلم والبيان ، وذكر نماذج رائعة من تلك المناظرات .

وخلص من هذا إلى الحديث عن دخول الشافعى العراق أيام المأمون للتدريس والتعليم. ثم تحدث عن سبب تصنيف الشافعى لكتاب « الرسالة القـــديمة » ثم فى ذهاب الشافعى إلى مصر ، وتصنيفه بها الكتب المصرية الجديدة . وذكر البيهقى فى صدر هذا أن الربيع بن سليمان لقيه بمدينة « نصيبين » قبل أن

يدخل مصر ، وقال عنه : كان الشافعى يعمل الباب من العلم ثم يقول : ياجارية قومى إلى القَدّاح فتقوم ؛ فتسرج له ، فيكتب ما يحتاج أن يكتبه ويرسمه فى موضعه ، ثم يطفىء السراج ويستقى على ظهره فيعمل الباب من العلم . . . وهكذا ، فقلت له : يا أبا عبد الله ، لو تركت السراج يَقِدُ ؛ فإن هذه الجارية منك فى جهد ؟ فقال : إن السراج يشغل قلبى .

وقال لى يوما : كيف تركت أهل مصر ؟

فقلت : تركتهم على ضربين : فرقة منهم قد مالت إلى قول مالك ، وأخذت به ، واعتمدت عليه ، وذبت عنه وناضلت . وفرقة قد مالت إلى قول أبى حنيفة ، فأخذت به ، وناضلت عنه .

فقال الشافعى : أرجو أن أقدم مصر — إن شاء الله — وآتيهم بشىء وأشغلهم به عن القولين جميعا .

قال الربيع : ففعل ذلك — والله — حين دخل مصر .

ثم روى البيهقى عن بحر بن نصر الخولانى أنه قال :

قدم الشافعى من الحجاز ، فبقى بمصر أربع سنين ، ووضع هذه الكتب فى أربع سنين . . وكان يضع الكتب بين يديه ويصنّف ، فإذا ارتفع له كتاب جاء صديق له يقال له : « ابن هرم » فيكتب ، ويقرأ عليه « البويطى » وجميع من يحضر يسمع فى « كتاب ابن هرم » ثم ينسخونه بعد . وكان « الربيع » على حوائج الناس فربما غاب فى حاجة ، فيعلّم له ؛ فإذا رجع قرأ الربيع عليه ما فاته .

ثم عقد بابا عظيما ذكر فيه عدد ما وصل إليه من مصنفات الشافعى ؛ فذكر من الكتب التى تجمع الأصول وتدل على الفروع ثلاثة عشر كتابا ، ثم قال :

« ومن الكتب التي هي مصنفة في الفروع وهي التي تعرف « بالأم » في الطهارات : كتاب الوضوء والتيمم . . إلخ وفي الصلوات والزكوات والصيام ، والحج ، والمعاملات ، والإجارات ، والعطايا ، والوصايا ، والفرائض وغيرها ، والأنكحة ، والجراح ، والحدود ، والسير والجهاد ، والأطعمة والقضايا والعتق وغيره .

وذكر تحت كل عنوان من هذه العناوين الكتب التي ألفها الشافعي فيها ، ثم قال : « فذلك مائة ونيف وأربعون كتابا » .

وهذا الباب من أهم أبواب الكتاب ؛ لأنه بين فيه الكتب الأخرى - عدا ما سبق - والتي أملاها على أصحابه ورواها عنه الربيع بن سليمان المرادي ، وبين الكتب التي لم يسمعها الربيع من الشافعي ، والتي يقول فيها : « قال الشافعي رحمه الله . كما بين فيه كتب الشافعي التي ألفها في القديم ، ورواها عنه الحسن بن محمد الزعفراني ، والكتب التي أعاد تصنيفها في الجديد ، والكتب التي أمر بتمزيقها ، لتغير اجتهاده فيها ، والكتب الأخرى التي رواها عنه الحسين الكرابيسي ، وأحمد بن يحيى الشافعي البغدادي : أبو ثور ، وأحمد ابن حنبل ، والحميدي ، ويونس بن عبد الأعلى ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم وابن مقلاص ، والربيع بن سليمان الجيزي — وهو غير المرادي — والحارث ابن سريج النقّال ، والحسين الفلاس ، وبحر بن نصر ، وغيرهم .

ومن أجمل ما في هذا الباب قول الشافعي :

« ألّفت هذه الكتب واستفرغت فيها مجهودي ، ووددت أن يتعلّمها الناس ولا تُنْسَبَ إليّ » .

ثم عقد بابا ذكر فيه مايستدل به على رغبة العلماء فى عصر الشافعى ومن بعد عصره فى كتبه، والاقتباس من علمه، والانتفاع به، وحسن الثناء عليه. وصدره بقوله: « وذلك لانفراده من فقهاء الأمصار بحسن التأليف؛ فإن حسن التصنيف يكون بثلاثة أشياء:

أحدها: حسن النظم والترتيب.

والثانى: ذكر الحجج فى المسائل مع مراعاة الأصول.

والثالث: تحرى الإيجاز والاختصار فيما يؤلفه.

وكان قد خص بجميع ذلك، رحمة الله عليه ورضوانه »

وذكر فى هذا الباب قول الجاحظ: « نظرت فى كتب هؤلاء النَّبَغَة الذين نبغوا، فلم أر أحسن تأليفا من المُطّلبى، كأن فاه نظم دُرًّا إلى درّ ».

ثم ذكر مايستدل به على حفظ الشافعى لكتاب الله، ومعرفته بالقراءات، وحسن صوته بالقراءة. وجعل الباب الذى يليه فيما يستدل به على معرفة الشافعى بتفسير القرآن، ومعانيه، وسبب نزوله.

ثم أتبعه بباب مايستدل به على معرفة الشافعى بمعانى أخبار رسول الله. وقد بدأه بقول أحمد بن حنبل: ما كان أصحاب الحديث يعرفون معانى حديث رسول الله حتى قدم الشافعى فبينها لهم.

وهو باب عظيم أتى فيه البيهقى بمُثُلٍ رائعة تدل على أن الشافعى كان — كما قال يونس بن عبد الأعلى — نسيج وحده فى هذه المعانى.

ثم أعقب ذلك بباب مايستدل به على فقه الشافعى، وتقدمه فيه، وحسن

استنباطه . وقد أورد البيهقى فى هذا الباب حديث النعمان بن بشير : أنه أتى رسول الله وقال له : إنى نحلت ابنى هذا غلاما كان لى ، فقال صلى الله عليه وسلم : أكلَّ ولدك نحلت مثل هذا؟ فقال : لا ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : فارجعه » .

وقول الشافعى فيه : « حديث النعمان حديث ثابت ، وبه نأخذ ، وفيه دلالة على أمور .

ومن هذه الدلالات التى ذكرها الشافعى قوله : « وفيه دلالة على أن نُحْل الوالد بعض ولده دون بعض جائز ، من قِبَل أنه لو كان لا يجوز كان أن يقال : إعطاؤك إياه وتركه سواء ؛ لأنه غير جائز ، وهو على أصل ملكك الأول — أشبه من أن يقال : ارجعه . وقوله صلى الله عليه وسلم : « فارجعه » دليل على أن للوالد رَدَّ ما أعطى الولد ، وأنه لا يَحْرجُ بارتجاعه .. وقد رُوِى أن النبى قال : « أشهد غيرى » وهذا يدل على أنه اختيار » .

وقد خالفت قول الشافعى هذا وعلقت عليه بقولى ١/٣٤٧ كيف يكون هذا على الاختيار وقد عدّه صلى الله عليه وسلم جوراً ؟ الخ

ثم ذكر البيهقى بابا يستدل به على معرفة الشافعى لأصول الفقه ، وهو باب عظيم ؛ لأن الشافعى أول من صنف فى أصول الفقه .

ويعجبنى من نصوصه قول الشافعى :

« وضع الله نبيه من دينه وأهل دينه موضع الإبانة عن كتاب الله — معنى ما أراد ، وفرض طاعته . . . فعِلْمُ الحق كتابُ الله ، ثم سنّة نبيه ؛

فليس لمفت ولا لحاكم أن يفتى ولا يحكم حتى يكون عالما بهما ، ولا أن يخالفهما ولا واحداً منهما بحال ، فإذا خالفهما فهو عاص لله به ، وحكمه مردود » .

ثم ذكر باب مايستدل به على معرفة الشافعى لأصول الكلام وصحة اعتقاده فيها . فذكر مايؤثر عنه فى الإيمان ، وفى دلائل التوحيد ، وفى أسماء الله ، وصفات ذاته ، وأن القرآن كلام الله ، وكلامه من صفات ذاته ، وإثبات المشيئة لله ، وإثبات القدر ، وخلق الأفعال ، وعذاب القبر ، وإثبات رؤية الله فى الدار الآخرة .

ثم مايؤثر عن الشافعى فى تفضيل النبى على جميع الخلق ، وإثبات الشفاعة له صلى الله عليه وسلم .

وما يؤثر عنه فى الذنوب التى هى دون الكفر ، ومايلحق الميت من فعل غيره .

وما يؤثر عنه فى الخلفاء الأربعة ، وفى جملة الصحابة، وفى قتال أمير المؤمنين على بن أبى طالب أهل القبلة .

ثم ماجاء عن الشافعى فى مجانبة أهل الأهواء و بغضه إياهم ، وذم كلامهم، وإزرائه بهم ودقه عليهم فى مناظرته إياهم .

وهو فصل بالغ الأهمية .

ثم عقد البيهقى بابا فى الاستدلال على حسن اعتقاد الشافعى فى متابعة السنة ، ومجانبة البدعة .

ومما رواه البيهقى فيه من كلام الشافعى :

«مامن أحد إلا ويذهب عليه سنة لرسول الله ، وتعزُبُ عنه ، فمهما قلتُ من قول ، أو أصَّلتُ من أصل ـ فيه عن رسول الله خلاف ماقلتُ ـ فالقول ماقال رسول الله ! وهو قولى ! »..

ثم عقد بابا عنوانه : مايستدل به على معرفة الشافعى برجال الحديث .

ذكر فيه مايستدل به على معرفة الشافعى بأسامى الرواة ، وأنسابهم ، وتواريخهم ، وجرحهم وتعديلهم .

وهو باب جم المنافع ، عظيم الفائدة ؛ دل على سعة أفق الشافعى فى هذا المضمار ، ومدى تمكُّنه منه ، واقتداره عليه .

ومن الفوائد التى تُجتنى من هذا الباب : أن الشافعى وضع كتابه على مالك ابن أنس ؛ لأنه بلغه أن بالأندلس قلنسوة لمالك يستسقى بها ! وأنه كان يقال للأندلسيين : قال رسول الله . فيقولون : قال مالك !

ومن أجل ذلك قال الشافعى : إن مالكا آدمى يخطىء ويغلط .

ويلى ذلك بابٌ جليل القدر ، عظيم الخطر ، وهو باب مايستدل به على معرفة الشافعى بصحة الحديث وعلته .

وباب آخر فيما يستدل به على إتقان الشافعى فى الرواية ، ومذهبه فى قبول الأخبار ، واحتياطه فيها .

ثم عقد بابا فيما يستدل به على فصاحة الشافعى ، ومعرفته باللغة والشعر الذى هو ديوان العرب . أورد فيه قول أحمد بن حنبل :

« الشافعى فيلسوف فى أربعة أشياء : فى اللغة ، واختلاف الناس ، والمعانى ، والفقه » .

وقول الربيع : أقام الشافعى على قراءة العربية وأيام الناس عشرين سنة ، وقال : ماأردت بذلك إلا الاستعانة على الفقه .

وقول أبى عثمان المازنى : « الشافعى عندنا حجة فى النحو » .

وقول الأصمعى : « صححت أشعار الهذليين على شاب من قريش بمكة يقال له : محمد بن إدريس الشافعى » .

وقول الربيع : « كان الشافعى عربى النفس ، عربى اللسان ، ولو رأيته وحسن بيانه وفصاحته لتعجبت منه ، ولو أنه ألف هذه الكتب — على عربيته التى كان يتكلم بها — لم يقدر على قراءة كتبه » .

ثم ذكر بابا للشعر الذى أثر عن الشافعى أنه أنشده لنفسه أو لغيره وأعقبه بباب مايستدل به على معرفة الشافعى بالطب ، أورد فيه قول حرملة ابن يحيى : كان الشافعى يتلهف على ماضيع المسلمون من الطب ، ويقول : ضيعوا ثلث العلم ، ووكلوه إلى اليهود والنصارى ! ! !

وتلاه باب مايستدل به على معرفة الشافعى بالنجوم ، وما يؤثر عنه فى الفراسة ، وإصابته فيها . ثم معرفته بالرمى والفروسية وذكر فيه قول الربيع : كان الشافعى أفرس خلق الله وأشجعه ، وكان يأخذ بأذنه وأذن الفرس ، والفرس يعدو ، فيثب على ظهره وهو يعدو .

* * *

ثم ذكر باب ما يؤثر عنه فى فضل العلم والترغيب فى تعلمه وتعليمه والعمل به . ومن ألطف ماجاء فى هذا الباب قول الشافعى :

لو أن أهل كَوْرَةٍ اجتمعوا على ترك طلب العلم ، لرأيت للحاكم أن يجبرهم على طلب العلم .

وقوله : ليس بعد أداء الفرائض شيء أفضل من طلب العلم .

وقوله : من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم .

وقوله : من تعلم علما فليدِّقق ؛ لئلا يضيع دقيق العلم .

وقد روى المزنى أنه قيل للشافعى : كيف شهوتك للأدب ؟

قال : أسمع بالحرف منه مما لم أسمعه فتود أعضائى أن لها أسماعاً تتنعم به مثلما تنعمت الأذنان !

قيل : وكيف حرصك عليه ؟

قال : حرص الجموع المنوع على بلوغ لذته فى المال .

وقيل : وكيف طلبك له ؟

قال : طلب المرأة المضلة ولدها وليس لها غيره .

وقوله : مثل الذى يطلب العلم بلا حجة ، كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لايدرى .

وقوله : المراء فى العلم يقسى القلب ، ويورث الضغائن .

وقوله : من إذالَةِ العلم أن تناظر كل من ناظرك ، وتقاوِلَ كلَّ من قاوَلك .

وقوله : كفى بالعلم فضيلة : أنه يدعيه من ليس فيه ويفرح إذا نسب إليه ، وكفى بالجهل شرا أنه يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا نسب إليه .

وقال الشافعى لأبى على بن مقلاص : تريد أن تحفظ الحديث وتكون فقيها ؟ !

وإنما قال الشافعى ذلك لأن ابن مقلاص كان كسائر الحفاظ الذين يشغلون أنفسهم بحفظ أبواب الحديث وسردها سرداً ، ولا يعملون عقولهم فى استنباط مافيها . ولقد قال الشافعى لإسحاق بن إبراهيم الحنظلى أثناء مذاكرة جرت بينهما : لو كنت أحفظ كما تحفظ لغلبت أهل الدنيا . وقال أحمد بن حنبل: قال لنا الشافعى رحمه الله : أنتم أعلم بالحديث منى ، فإذا صح عندكم الحديث عن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فقولوا لنا حتى نأخذ به . وقال الشافعى : مارأيت أحفظ من الحميدى ، كان يحفظ لسفيان بن عيينة عشرة آلاف حديث . وقال الحميدى : صحبت الشافعى من مكة إلى مصر فكنت أستفيد منه « المسائل » وكان يستفيد منى « الحديث » .

ثم ذكر البيهقى مايستدل به على اجتهاد الشافعى فى طاعة ربه ، وزهده فى الدنيا ، وحضه الناس على هذا الزهد .

ومما جاء فى ذلك قول الربيع : خرجت مع الشافعى من « الفسطاط » إلى « الإسكندرية » مرابطا ، وكان يصلى الصلوات الخمس فى المسجد الجامع ، ثم يسير إلى المحرس فيستقبل البحر بوجهه جالساً يقرأ القرآن فى الليل والنهار ، حتى أحصيت عليه ستين ختمة فى شهر رمضان .

وحكى الربيع أن عبد الله بن عبد الحكم قال للشافعى : إن عزمت أن تسكن مصر فليكن لك قوت سنة ، ومجلس من السلطان تتعزز به . فقال له

الشافعى : يا أبا محمد ، من لم تعزه التقوى فلا عز له ، ولقد ولدت بغزة ، ورُبِّيتُ بالحجاز ، وما عندنا قوت ليلة ، وما بتنا جياعاً .

وقال له المزنى : مالك بد من إمساك العصا ولست بضعيف ؟! فقال : لأذكر أنى مسافر فى الدنيا .

وقال الشافعى : خير الدنيا والآخرة فى خمس خصال : غنى النفس ، وكف الأذى ، وكسب الحلال ، ولباس التقوى ، والثقة بالله على كل حال .

وقال للربيع : عليك بالزهد ، فالزُّهد على الزاهد أحسن من الحلى على المرأة الناهد ! .

وذكر عند الشافعى فهم القلب فقال : من أحبّ أن يفتح الله له قلبه أو ينوِّره ، فعليه بترك الكلام فيما لايعنيه ، وترك الذنوب ، واجتناب المعاصى ، ويكون له فيما بينه وبين الله خَبِيَّةٌ من عمل ؛ فإنه إذا فعل ذلك فتح الله عليه من العلم ما يشغله عن غيره ، وإن فى الموت وذكره لأكثر الشغل .

وفى هذا المعنى يقول أيضا : من أحبّ أن يفتح الله قلبه ويرزقه الحكمة — فعليه بالخلوة ، وقلة الأكل ، وترك مخالطة السفهاء وبعض أهل العلم الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب .

وقال الشافعى للربيع : لا تتكلم فيما لايعنيك ؛ فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها .

وقال ليونس بن عبد الأعلى : لو جهدت كل الجهد على أن ترضى الناس كلّهم فلا سبيل إليه ، فإذا كان كذلك فأخلص عملك ونيتك لله عز وجل .

* * *

ثم ذكر البيهقى باب مايستدل به على تمكن الشافعى من عقله ، ومايؤثر عنه من الآداب .

ذكر فيه من قول الشافعى هذه الكلمات :

• طبع ابن آدم على اللؤم : فمن شأنه أن يتقرب ممن يتباعد منه، ويتباعد ممن يتقرب منه .

• سياسة الناس أشد من سياسة الدواب .

• إن للعقل حدا ينتهى إليه ، كما أن للبصر حداً ينتهى إليه .

• جوهر المرء فى خلال ثلاث: كتمان الفقر حتى يظن الناس من عفتك أنك غنى ، وكتمان الغضب حتى يظن الناس أنك راض ، وكتمان الشدة حتى يظن الناس أنك متنعم .

• أظلم الظالمين لنفسه : من تواضع لمن لايكرمه ، ورغب فى مودة من لاينفعه ، وقبل مدح من لا يعرفه .

• إن الله خلقك حرا فكن كما خلقك .

• من سمع بأذنه صار حاكيا ، ومن أصغى بقلبه كان واعيا ، ومن وعظ بفعله كان هاديا .

• الكيِّس العاقل هو الفطن المتغافل .

• لو أن رجلا سوّى نفسه حتى صار مثل القدح، لكان له فى الناس من يعانده .

• الحرية : هى الكرم والتقوى ، فإذا اجتمعا فى شخص فهو حر .

• لو أن رجلا تصوف من أول النهار لم يأت عليه الظهر إلا وجدته أحمق .

• لايكون الصوفى صوفيا حتى يكون فيه خصال أربع : كسول ، أكول ، نئوم ، كثير الفضول .

• مادخل قوم بلد قوم إلا أخذ كل واحد منهم سُنَّة صاحبه ، حتى إن العراقى ليأخذ من سنة الشامى ، والشامى من سنة العراقى .

• إنك لاتقدر أن ترضى الناس كلهم ، فأصلح مابينك وبين الله ، فإذا أصلحت مابينك وبين الله ، فلا تبال بالناس .

• تفقه قبل أن ترأس ، فإذا ترأست فلا سبيل إلى التفقه .

• أصحاب المروءات فى جهد .

• التواضع من أخلاق الكرام ، والتكبر من شيم اللئام .

• من استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان.

• التطلف فى الحيلة أجدى من الوسيلة .

• ليس بعاقل من لم يأكل مع عدوه فى غضارة ثلاثين سنة .

• الشفاعات زكاة المروءات .

• ترك العادة ذنب مستحدث .

• لاتشاور من ليس فى بيته دقيق ، فإنه مدله العقل .

• الانبساط إلى الناس مجلبة لقرناء السوء ، والانقباض عنهم مكسبة للعداوة، فكن بين المنقبض والمنبسط .

• ما أكرمت أحداً فوق مقداره إلا اتضع من قدرى عنده بمقدار ما أكرمته به .

• عاشر كرام الناس تعش كريما ، ولا تعاشر اللئام فتنسب إلى اللؤم .

• أقمت أربعين سـنة أسأل إخوانى الذين تزوجوا : عن أحوالهم فى تزويجهم ؟ فما منهم أحد قال : إنه رأى خيراً !

وقال سمعت بعض أصحابنا ممن أثق به قال :

« تزوجت لأصون دينى فذهب دينى ودين أمى ودينى جيرانى !!! » .

ثم ذكر البيهقى بابا فيما يستدل به على سخاوة الشافعى . ومما أورده فيه قول أبي ثور : كان الشافعى من أجود الناس وأسخاهم كـفا : كان يشترى الجارية الصنّاع التى تطبخ وتعمل الحلوى ، ويشترط عليها أن لا يقربها ؛ لأنه كان عليلا لم يمكنه أن يقرب النساء فى وقته ذلك ، لباصور كان به . وكان يقول لنا : تشهوا ، ماأحببتم ؛ فقد اشتريت جارية تحسن أن تعمل ماتريدون . فيقول لها بعض أصحابنا : اعملى اليوم كذا وكذا ، فـكنا نحن الذين نأمرها ، وهو مسرور بذلك . وأورد البيهقى قول الربيع : قد سمعنا بالأسخياء ، قد كان عندنا قوم من الأسخياء بمصر وأهل الفضل رأيناهم ، ما رأينا مثل الشافعى . وكان الشافعى يقول : أهل اليمن فيهم السخاء ، وقال الحميدى : فأين سخاء أهل اليمن من سخاء الشافعى ؟ أولئك سخاؤهم من فَضْل معهم ، والشافعى يسخو بكل ماله . وقول البويطى : قدم علينا الشافعى مصر ، وكانت « زبيدة » ترسل إليه برزم الوشى والثياب ؛ فيقسمها الشافعى بين الناس .

ثم ذكر بابا فى شهادة الأئمة للشافعى بالتقدم فى العلم وثنائهم عليه ، ودعائهم له . ومن الأقوال التى رواها فى ذلك قول أحمد بن حنبل :

ما أعلم أحداً أعظم منّة على الإسلام ، فى زمن الشافعى ، من الشافعى .

وما أحد مسّ بيده محبرة وقلما إلا وللشافعى فى عنقه منّة . ومارأيت أحداً أفقه فى كتاب الله من الشافعى . وكان الفقه قفلا على أهله حتى فتحه الله بالشافعى وقيل لأحمد : إن « يحيى بن معين » و « أبا عبيد » لا يرضيان الشافعى وينسبانه إلى التشيع ! فقال : والله مارأينا منه إلا خيرا ، ولا سمعنا إلا خيراً . واعلموا أن الرجل من أهل العلم إذا منحه الله شيئا من العلم وحُرِمَه قرناؤه وأشكاله

ـ حسدوه فرموه بماليس فيه . وبئست الخصلة فى أهل العلم !

وقال أبو ثور : مارأيت مثل الشافعى ، ولا رأى الشافعى مثل نفسه .

وقال الزعفرانى : مارأيت مثل الشافعى أفضل ولا أكرم ولا أسخى ولا أتقى ولا أعلم منه ، وما رأيته لحن قط . وكان يُقْرَأ عليه من كل الشعر فيعرفه .

وقال الحميدى : كان الشافعى سيد علماء أهل زمانه ، وربما ألقى على وعلى ابنه «أبى عثمان» المسألة فيقول : أيكما أصاب فله دينار !

وقال سعيد بن عمرو البرذعى : سمعت «محمد بن عبد الله بن عبد الحكم» يقول : ليس «أبو عبيد» عندنا بفقيه . فقلت له : ولم ؟ قال : لأنه يجمع أقاويل الناس ويختار لنفسه منها قولا . قلت : فمن الفقيه ؟ قال : الذى يستنبط أصلا من كتاب أو سنة لم يسبق إليه ، ثم يُشَعِّبُ من ذلك الأصل مائة شعبة. قلت : ومن يقوى على هذا ؟ قال : محمد بن إدريس الشافعى.

ثم روى البيهقى ما أثر عن الشافعى من لباسه وهيئته وخضابه ونقش خاتمه ومما جاء فى ذلك هذا النص الذى نقله من كتاب العاصمى عن الربيع قال :

كان الشافعى يجلس فى حلقته إذا صلى الصبح ، فيجيئه أهل القرآن ، فاذا طلعت الشمس قاموا ، واستوت الحلقة للمذاكرة والنظر ، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا ، وجاء أهل العربية ، والعروض ، والنحو ، والشعر ، فلا يزالون إلى أن يقرب انتصاف النهار ، ثم ينصرف .

وكان يجدر بالبيهقى أن لا يذكر هذا النص فى هذا الباب ، وإنما يذكره فى باب آخر هو ألصق به كباب فضل العلم والترغيب فى تعلمه وتعليمه .

وروى قول الربيع : كان الشافعى حسن الوجه ، وحسن الخلق ، محبباً إلى من كان بمصر — فى وقته — من الفقهاء ، والأمراء والنبلاء ؛ كلهم يجئ إلى الشافعى ويعظمه ويجله . ولو رأيته وحسن ثيابه ، ونظافته ، وفصاحته لعجبت منه .

وبعد أن ذكر وصية الشافعى ذكر مرضه ، ووفاته ، وتربته ، ومقدار سنه ، وأهله وأولاده ، ومن روى عنه من علماء الحجاز ، واليمن ، ومصر ، والعراق ، وخراسان .

ثم ذكر أصحابه الذين حملوا عنه علما ، أورَوَوْا عنه حديثا ، أو حكوْا عنه حكاية .

وجعل البيهقى « الباب الأخير » من كتابه فى ذكر من قعد فى مجلس الشافعى بعد وفاته ، ومن قام من أصحابه بنشر علمه .

ومن أهم الحقائق التى يحتويها هذا الباب ، ما جاء فيه عن أبى عبدالله المروى أنه قال : سمعت أبا زرعة الدمشقى ، وقلت له : ما أكثر جمل « المزنى » على الشافعى ؟ ! فقال : لاتقل هكذا ، ولكن قل : ما أكثر ظلمه للشافعى ؟ !

وقد روى البيهقى هذا النص عن أستاذه : أبى عبد الرحمن السُّلَمى ، ووثقه بأنه قال : وهكذا قرأته فى كتاب العاصمى . ثم عقب عليه البيهقى بقوله : وما أحسن ماقال أبو زرعة . وظلم «المزنى» للشافعى يتجلى فى شيئين : أحدهما : أنه كان صبيا ضعيفا ، فربما وجد فى كتاب الشافعى مسألة قد سقط منها بعض شرائطها — وهى فى رواية حرملة والربيع صحيحة — فنقلها على مافى كتابه ، ثم أخذ فى الطعن على الشافعى . وكان من سبيله أن ينظر كتب أصحاب الشافعى حتى يتبين له خطؤه فى الكتابة ، أو خطأ من كَتَبَ كتابه فيستغنى عن الاعتراض .

والآخر أنه وجد الشافعى ذكر مسألة فى موضعين ، اختصرها فى أحدهما ، وذكرها مستوفاة شرائطها فى الموضع الآخر – فنقلها المزنى مختصرة ، ثم اشتغل بالاعتراض عليها ، ولو نقلها من الموضع الآخر مقيدة بشرائطها استغنى عن الاعتراض .

ومثال كل واحد من هذين النوعين عندى فيما رددته من كلام الشافعى إلى ترتيب المختصر ، وإيراده هنا مما يطول به الكتاب .

وعمل شيئا آخر وهو أن كل كتاب صنفه الشافعى ورتب له ترتيبا حسنا ترك « المزنى » ترتيبه ، وقدم وأخر ، كالجمعة والجنائز وغيرهما .

وقد يذكر الشافعى مسألة فى موضعين بعبارتين ، فينقل «المزنى» تلك المسألة بعضها بعبارته فى أحد الموضعين ، والثانى بعبارته فى الموضع الآخر ؛ كيلا يهتدى إلى كيفية نقلها ولو نقلها – على ترتيبه فيما رتبه – وعلى عبارته فى أحد الموضعين كان أحسن وأبين .

فهذا وجه جواب أبى زرعة .

والذى راعى «المزنى» من حق الشافعى فى جمع ما تفرق من كلامه ، واختصاره مابسط من قوله ، وتقريبه على من أراده ، وتسهيله على من قصده من أهل الشرق والغرب – أكثر ، وفائدته أعم وأظهر ؛ فلا أعلم كتابا صنف فى الإسلام أعظم بركة ، وأعم نفعا ، وأكثر ثمرة من كتابه » .

والذى يلوح لى أن عذر «المزنى» فيما كان منه من وهم فى اختصار علم الشافعى : أنه لم يكن من قوة الفهم ، وسرعة الإدراك بحيث يدرك منازع الشافعى فى كلامه

وقد اعترف «المزنى» بذلك حيث يقول: «لو كنا نفهم عن الشافعى كل مايقول لأتيناكم عنه بصنوف العلم، ولكن لم نكن نفهم، فقصرنا، وعاجله الموت».

وقد مكث المزنى - فى تأليف مختصره هذا - عشرين سنة، وألفه ثلاث مرات، يغير فيه ويبدل.

* * *

وإن كتاب المناقب هذا يعد من أعظم كتب التراجم، وأحفلها بالفائدة، وأقربها سبيلا إلى الغاية من الترجمة، يقرؤه القارئ الواعى، فيخرج منه بصورة متكاملة للشافعى العالم المفسر، الفقيه المحدث، الأديب الشاعر، والإنسان العربى الأبى الذى يحرص على الكرامة والحرية والمروءة ومكارم الأخلاق، والجواد السخى الذى يبذل ماله، طيب النفس ببذله، والعالم الكريم الذى كان يود من سويداء قلبه أن يتعلم الخلق علمه، وأن لاينسبوا إليه شيئا منه!

وتلك مكانة سامية لا يرقى إليها إلا أفذاذ العلماء الذين قهروا أهواءهم، وقدعوا نفوسهم عن حب الشهرة، وآمنوا بأن نشرهم لعلمهم إنما هو الشكر لربهم الذى علمهم ما لم يكونوا يعلمون.

وما أريد أن أسترسل فى ذكر ألوان عظمة الشافعى التى تجتلى من هذا الكتاب فإن فيما رواه البيهقى عن «داود بن على الظاهرى» غنية عن ذلك، وأقوال داود — تلك — من أهم ما اشتمل عليه كتاب المناقب.

قال داود:

«اجتمع للشافعى من الفضائل مالم يجتمع لغيره:

فأول ذلك : شرف نسبــــه ومنصبه ، وأنه من رهط النبى ، صلى الله عليه وسلم .

ومنها : صحة الدين ، وسلامة الاعتقاد من الأهواء والبدع .

ومنها : حفظه لـكتاب ربه ومعرفته به ، وجمعه لسنن النبي ، ومعرفته بالواجب منها من الندب ، ومعرفته بناسخ القرآن من منسوخه ، والعام منه والخاص ، ثم معرفته بسيرة هدى نبيه ، صلى الله عليه وسلم ، وأئمة الهدى بعده ، ومغازى رسول الله أوخلفائه ، وتركه تقليد أهل بلده ، وإيثاره ما دل عليه كتاب ربه ، وثبت عن نبيه .

ثم ما كشف من تمويه المخالفين ، وما أبطل من زخرفهم ، بالحق الذى قذف به على باطلهم فيدمغه .

ثم مابين من الحق الذى سهل — بتوفيق خالقه ـ معرفته ، حتى استطال به من لم يكن يميز بين ظلام وضياء ، وألفوا الـكتب ، وناظروا المخالفين .

ومنها : مامن الله عليه من منطقه الذى طبع عليه ، وكان يعترف له به كل من شاهده ويقر بتقصيره عن بلوغ أدنى مامنّ الله به عليه منه .

ومنها : ما وقاه الله من شح النفس الموجب له الفلاح .

وما علمت أحدا فى عصره كان أمَنّ على أهل الإسلام منه ، لما نشر من الحق ، وقمع من الباطل وأظهر من الحجج ، وعلّم من الخير » .

وقد تـكفل كتاب المناقب — هذا — بتفصيل هذه الأوصاف الجليلة

المستطابة ، التى تدل على إدراك حقيقى لفضائل الشافعى ، وبصر دقيق بجوانبها الكثيرة .

* * *

وهناك أمر آخر تفرد به كتاب المناقب لا مناص من ذكره والإفاضة فى تبيينه ، لأهميته القصوى فى دفع فرية افتريت على الشافعى قديما وحديثا ، وهى أن الشافعى لم يؤلف كتاب الأم .

وقد ألف الدكتور زكى مبارك كتابا فى ذلك جعل عنوانه : « إصلاح أشنع خطأ فى تاريخ التشريع الإسلامى : كتاب الأم لم يؤلفه الشافعى وإنما ألفه البويطى وتصرف فيه الربيع بن سليمان » .

وكان الذى هداه إلى تصحيح هذه الغلطة – كما يقول – كلمة قرأها فى كتاب « الإحياء » للغزالى يقول فيها :

« وآثر البويطى الزهد والخمول ، ولم يعجبه الجمع والجلوس فى الحلقة ، فاشتغل بالعبادة ، وصنف كتاب الأم الذى ينسب الآن إلى الربيع بن سليمان ويعرف به ، وإنما صنفه البويطى ، ولكن لم يذكر نفسه فيه ، ولم ينسبه إلى نفسه فزاد الربيع فيه وتصرف » اهـ .

وكلمة الغزالى — هذه — ليست من بنات فكره ، ولا من ثمرات بحثه ، وإنما نقلها نقلا عن كتاب «قوت القلوب» لأبى طالب المكى المتوفى سنة ٣٨٦ فقد جاء فى هذا الكتاب ٤/١٣٥ :

« وأخمل البويطى نفسه ، واعتزل عن الناس بالبويطة ، من سواد مصر

وصنف كتاب الأم الذى ينسب الآن إلى الربيع بن سليمان ، ويعرف به ، وإنما هو جمع البويطى ، لم يذكر نفسه فيه ، وأخرجه إلى الربيع فزاد فيه ، وأظهره وسمعه منه » اهـ

وقد رجح الدكتور زكى مبارك أن الأم وضع بعد وفاة الشافعى ، لأنه ليس له مقدمة (! ! !) .

ولأنه لا تمضى فصوله على وتيرة واحدة ، ففى أحيان كثيرة تجرى عبارة : « قال الشافعى » . وفى بعض الأحيان ، حدثنا الربيع بن سليمان قال : أخبرنا الشافعى — إملاء — وفى بعضها : سألت الشافعى فقال .

وتجىء فى الأم أحيانا عبارة : قال الشافعى كذا ، فقلت له كذا (!) .

وللربيع تعليقات كثيرة فى التعقيب على كلام الشافعى (!) .

ويتفق المؤلف أحيانا أن يذكر المصدر الذى نقل عنه فيقول - مثلا (١٤٦/٧) : « هذا مكتوب فى كتاب الإيلاء » (!) .

وعرض المؤلف فى باب الوصايا لوصية الشافعى فقال : هذا كتاب كتبه محمد بن إدريس الشافعى فى شعبان سنة ثلاث ومائتين ، وعنونه بعبارة : الوصية التى صدرت من الشافعى . وإذا تذكرنا أن الشافعى مات سنة أربع ومائتين ، عرفنا أن كتاب وصيته أثبت فى الكتاب بعد وفاته (!) .

وجاء فى كتاب الأم (٩٣/٢) مانصه : « أخبرنا الربيع بن سليمان المرادى بمصر سنة سبع ومائتين ، قال : أخبرنا الشافعى »

« وكلمة « بمصر » تدل على أن المؤلف كان مشغولا بجمع مواد الكتاب فى مكان غير مصر — أعنى غير العاصمة — وكلمة المكى والغزالى تعين أنه كان فى بويط » (!!!).

وقد وقع الدكتور هنا فى خطأ طريف ، غير الخطأ الأساسى فى نفى الأم عن الشافعى ، فكلمة « مصر » لا يراد بها العاصمة فى هذا النص ، لأن ذلك خطأ محض ، وعاصمة مصر فى تلك الحقبة من الزمان كانت « الفسطاط » ثم هى لاتدل على أن المؤلف كان مشغولا بجمع مواد كتابه فى غير العاصمة ، والمضحك حقا أن يقول الدكتور : وكلمة المكى والغزالى تعين أنه كان فى بويط !!

والعبارة ـ كما جاءت فى الأم ـ لاتدل على أكثر من أن راوى الكتاب عن الربيع يقول : إن الربيع حدثه بمصر فى تلك السنة ، ولا مدخل للبويطى ، ولا لجمعه مواد الكتاب ، فى هذا النص على الإطلاق . ورحم الله الشافعى إذ يقول : « وقد تكلم فى العلم من لو أمسك عن بعض ماتكلم فيه ، لكان الإمساك أولى به ، وأقرب إلى السلامة له » .

* * *

وأما استدلاله بوجود وصية الشافعى فى الأم على أنها أثبتت فيه بعد وفاة الشافعى ـ فغير مسلم له . ولست أدرى كيف قال هذا وليس فى النص مايشير إليه من قريب أو بعيد . جاء فى الأم ٤/٤٨ تحت عنوان : الوصية التى صدرت من الشافعى : « قال الربيع بن سليمان : هذا كتاب كتبه محمد بن إدريس الشافعى ، فى شعبان سنة ثلاث ومائتين ، وأشهد الله عالم خائنة الأعين وما تخفى

الصدور — وكفى بالله جل ثناؤه شهيداً — ثم من سمعه : أنه شهد أن لا إلا الله . . إلى آخر الوصية .

وأكبر ظنى أن أصل الكلام : قال الربيع بن سليمان : قال الشافعى : هذا كتاب كتبه الخ لأن أول وصية الشافعى كلمة « هذا » ويؤيد ذلك ما رواه البيهقى فى المناقب عن الربيع أنه قال : قرىء على محمد بن إدريس الشافعى ، رحمه الله ، وأنا حاضر : هذا كتاب . . الخ .

وهذا النص يدل على أن كتاب وصية الشافعى هو الذى قرئ عليه بحضور الربيع . ومعلوم أن كتاب « الوصايا » الذى سجل الشافعى فيه وصيته لم يسمعه الربيع ولا غيره من الشافعى ، فى حين أنه كان مكتوبا كله بخط الشافعى . وآية ذلك قول الربيع ، كما جاء فى الأم ٤/١٨ « كتبنا هذا الكتاب من نسخة الشافعى - من خطه بيده ، ولم نسمعه منه » وقول المزنى فى مختصره بهامش الأم ٣/١٥٩ « كتاب الوصايا مما وضعه الشافعى بخطه ، لا أعلمه سمع منه » .

وكتاب الوصايا قد ألفه الشافعى فى العام الذى توفى فيه ، لأنه كتب وصيته فى شعبان سنة ٢٠٣ ومات فى شعبان سنة ٢٠٤ . وما الذى يمنع عقلا من أن يكتب الشافعى وصيته فى كتابه ، حتى يقول الدكتور زكى مبارك : إنها أثبتت فيه بعد وفاة الشافعى ، ليثبت بذلك أنه ليس من تأليف الشافعى ؟!

ولقد كتب الشافعى كتاب صدقته كذلك فى العام التى توفى فيه . جاء فى الأم ٦/١٧٩ تحت عنوان : « صدقة الشافعى » : « هذا كتاب كتبه محمد ابن إدريس الشافعى فى صحة منه وجواز من أمره ، وذلك فى صفر سنة ثلاث ومائتين . . . »

أما قول الدكتور : « إن المؤلف يذكر أحيانا المصدر الذى نقل عنه ، فيقول مثلا ٧/١٤٦ : وهذا مكتوب فى كتاب الإيلاء » فإنه خطأ محض من جهتين :

الأولى : أن هذا القول المذكور فى هذا الجزء وفى هذه الصفحة ليس من كتاب الأم وإنما هو من كتاب مستقل ألفه الشافعى ، وهو « كتاب اختلاف العراقيين » فالاستشهاد بهذا النص لا يصح .

والجهة الثانية : أن المؤلف المزعوم أو الحقيقى لم يقصد من هذه العبارة وأمثالها ذكر المصدر الذى نقل عنه ، وإنما قصد بيان الكتاب الذى فصل فيه القول فى الموضوع الذى أجمل ذكره قبل هذه العبارة . ولننظر كيف قال المؤلف العبارة التى مثل بها الدكتور : جاء فى الأم ٧/١٤٦ « قال الشافعى ، رحمه الله : وإذا حلف الرجل لا يطأ امرأته أربعة أشهر أو أقل - لم يقم عليه حكم الإيلاء ، لأن حكم الإيلاء إنما يكون بعد مضى الأربعة الأشهر . فيوم يكون حكم الإيلاء يكون الزوج لا يمين عليه . وإذا لم يكن عليه يمين فليس عليه حكم الإيلاء . وهذا مكتوب فى كتاب الإيلاء » .

ويريد الشافعى بالعبارة الأخيرة أن يرشد قارئ كتابه اختلاف العراقيين إلى الكتاب الذى فصل فيه القول من كتب الأم ، وهو كتاب الإيلاء الذى يقع فى الجزء الخامس ، والمسألة التى يعنيها فيه ص ٢٥٤ .

وجاء فى صفحة ١٤٦ أيضاً هذا النص من كتاب اختلاف العرقيين . « قال الشافعى ، رحمه الله : وإذا ارتد الرجل عن الإسلام ، فنكاح امرأته موقوف . فإن رجع إلى الإسلام قبل أن تنقضى عدتها - فهما على النكاح

الأول . وإن انقضت عدتها قبل رجوعه إلى الإسلام — فقد بانت منه . والبينونة فسخ لا طلاق . وإن رجع إلى الإسلام نخطبها — لم يكن هذا طلاقا . وهذا مكتوب فى كتاب المرتد » .

وكتاب المرتد من كتب الأم ، والمشار إليه فيه ٦/١٤٩ - ١٥٠ .

وقد أشار الشافعى فى كتاب «اختلاف العراقيين» هذا إلى تسعة كتب من كتب الأم نجتزئ منها بهاتين الإشارتين : قال فى ص ١١٦ : « وقد كتبنا هذا فى كتاب الأقضية » .

وقال فى ص ١٢٣ : « وهـــذا مكتوب فى كتاب العتق بحججه ، إلا أنا وجدنا فى هذا الكتاب زيادة حرف لم نسمع به فى حججهم .. »

* * *

ونذر الدكتور «زكى مبارك» ونأتى إلى الدكتور « أحمد أمين » الذى قال فى كتابه ضحى الإسلام ٢/٢٣٠ : « وقد ثار الخلاف حديثا فى مصر : هل الأم كتاب ألفه الشافعى ، أو ألفه البويطى ؟ وأظن أنه لو حدد موضع النزاع فى دقة ، لكان الأمر أسهل حلا ؛ فليس يستطيع أحد أن يقول : إن ما بين دفتى الكتاب الذى بين أيدينا هو من تأليف الشافعى، وأنه عكف على كتابته وتأليفه فى هذا الوضع النهائى (!!!)

وأهم دليل على ذلك أن مطالع كثير من الفصول : العبارة الآتية : «أخبرنا الربيع ، قال : قال الشافعى» وهى عبارة لا يمكن أن يكتبها الشافعى وهو يؤلف الكتاب (!!!)

وفى ثنايا الكتاب نجد أخباراً بعدول الشافعى عن هذا الرأى . كأن يحى فى سير الكلام ٣/٢٣ « قال الربيع : قد رجع الشافعى عن خيار الرؤية ، وقال : لايجوز خيار الرؤية » ومحال أن تصدر من الشافعى هذه العبارة وأمثالها . كما لايستطيع أحد أن ينكر أن فى الأم مذهب الشافعى بقوله وعبارته . فالظاهر أنها أمال أملاها الشافعى فى حلقته ، كتبها عنه تلاميذه ، وأدخلوا عليها تعليقات من عندهم ، واختلفت راويتهم بعض الاختلاف . والذى بين أيدينا منها رواية الربيع المرادى عن الشافعى » .

* * *

ماذا أقول فى نقد هذا الكلام المدخول ، الذى تزورّ عنه العقول ؟ ولست أدرى كيف طوعت للدكتور نفسه أن يقول : إنه لايستطيع أحد أن يقول إنه « الأم » من تأليف الشافعى ؛ لأن فى مطالع فصوله عبارة لايمكن أن تخطها يمين الشافعى أثناء تأليفه له ، وهى عبارة : «أخبرنا الربيع ، قال : قال الشافعى» . ولأنه تتردد فى ثناياه عبارة أخرى ، محال أن تصدر من الشافعى وهى عبارة : « قال الربيع » ! ! !

ولست أرتاب فى أن « أهم دليل » لدى الدكتور لايقبله من له أدنى إلمام بالكتب القديمة ، وطريقة الأقدمين فى روايتها ، وكل من قرأ فيها يعلم علم اليقين أن وجود عبارة «أخبرنا الربيع قال : قال الشافعى» فى أول الكتاب أو فى داخله مرة أو مرات ــ دليل ناصع على أنه من تأليف الشافعى ، وأن هذه النسبة قد ازدادت وثاقة ومتانة برواية الربيع عن الشافعى ، ثم برواية تلميذ الربيع عن الربيع . ثم برواية تلميذ التلميذ . إن وجدت ، وهكذا إلى آخر سلسلة رواة الكتاب

عن مؤلفه . وهى أوثق طرق التوثيق والتأكد من نسبة الكتاب المروى إلى من وضعه .

وهذه من الحقائق الأولية والمسائل البسيطة التى لاتخفى على أبسط القراء ، فمن العجب العجاب أن تكون سببا للارتياب فى الكتاب ، ودليلاها على نفيه عن مؤلفه ؛ لأنه «لايمكن أن يكتبها الشافعى وهو يؤلف الكتاب» ! ! !

ولو اتخذنا هذا الدليل الهام عند الدكتورين : زكى مبارك وأحمد أمين ، وجعلناه معياراً فى نظرنا إلى الكتب العربية فى القرون الأولى لنفينا أكثرها عن أصحابها .

ولو نظرنا كذلك فى ضوء هذا الدليل إلى سائر كتب الشافعى التى أفردها عن مجموعة « الأم » لقلنا : إنها ليست من مؤلفات الشافعى » ولنأخذ منها مثالا واحداً وهو كتاب « اختلاف الحديث » وهو كتاب كتبه الشافعى، وجعل له مقدمة طويلة ، وقد سجل فيه أنه من تأليفه وكتابه ، ومما قاله : «وقد وصفت فى كتابى هذا ـ المواضع التى غلط فيها بعض من عجل بالكلام فى العلم قبل خبرته » ومنها : « فحكيت ما كتبت فى صدر كتابى هذا ...» ومنها : « وقد اختصرت من تمثيل مايدل الكتاب على أنه نزل من الأحكام عاماً أريد به العام. وكتبته فى كتاب غير هذا . . وكتبت فى هذا الكتاب مما نزل عام الظاهر ، مادل الكتاب على أن الله أراد به الخاص . . »

وإذا نظرنا فى أوائل أبواب « اختلاف الحديث» رأينا أكثرها قد بدئ بعبارة : «حدثنا الربيع . . .» وباقيها القليل قد بدئ بعبارة « حدثنا الشافعى»

أو « قال الشافعى » فهل ننفى هذا الكتاب عن الشافعى ، أو نتبع سبيل العلم ونقول : إنه من تأليفه ومن رواية الربيع عنه ، ونبحث عن الراوى الأول الذى قال : حدثنا الربيع » ؟ لنعلم أنه «أبو بكر : أحمد بن عبد الله السجستانى» تلميذ الربيع .

وما أكثر تلاميذ الربيع من أهل المشرق والمغرب الذين شدوا رحالهم إلى مصر ـ وليست العاصمة ـ ليرووا عنه كتب الشافعى الذى قال له : «أنت راوية كتبى » وقد لبث الربيع بعد موت الشافعى ستا وستين سنة يدرس كتب الشافعى ، ويمليها على تلاميذه ، ويعقب على بعض أقوال الشافعى بما يعن له أثناء الإملاء . والطلاب من حوله يكتبون كل مايقول من قول الشافعى ومن قول نفسه فى التعقيب على بعض قول الشافعى .

وهذا هو التفسير الصحيح لوجود : « قال الربيع » فى ثنايا كتب الشافعى. ومنها عبارة « قال الربيع : قد رجع الشافعى عن خيار الرؤية ، وقال لايجوز خيار الرؤية » التى نقلها الدكتور أحمد أمين وعقب عليها بقوله : « ومحال أن تصدر من الشافعى هذه العبارة وأمثالها » .

وهل قال أحد ممن يثبتون الكتاب للشافعى : إن «حدثنا الربيع» فى مطالع فصوله ، و « قال الربيع » فى ثناياه مما خطته يد الشافعى فى الأم حتى يقول الدكتور : إنه من غير الممكن أن يكتب الجملة الأولى وهو يؤلف الكتاب ، ومن المحال أن تصدر عنه كذلك الجملة الثانية ، ثم يتخذ من هذه وتلك دليلا بالغ الأهمية على أن الشافعى لم يؤلف كتاب الأم ؟ !

ومن قبل ذلك يقول فى ثقة مطلقة وجرأة بالغة : ليس يستطيع أحد أن

يقول إن الشافعى قد عكف على كتابة الأم ، وألفه فى هذا الوضع النهائى لالشىء إلا لأن فى أوائل الكلام : « حدثنا الربيع » وفى خلاله : « قال الربيع » ! !

ولو قد قرأ الدكتور كتاب الأم حقا لألفى فى أطوائه كثيراً من الأدلة على أنه له ومن وضعه ، ولمنعته تلك الأدلة من تقليد الدكتور زكى مبارك ، الذى تلقف كلمة الغزالى التى نقلها — دون تعقل أو إدراك — عن أبى طالب المكى ، ذلك الصوفى السالى الذى شطح ونطح وأخرج تلك الكلمة الخبيثة الخاملة التى قالها عن خمول البويطى وتأليفه للأم ومنحه للربيع الذى سارع إلى نسبته له دون أن يردعه عن ذلك الفعل الشائن رادع من حياء أو زاجر من ورع .

وحاشا للربيع الثقة الأمين ، ذى الدين الثخين والورع المكين — أن يقدم على ارتكاب تلك الحماقة التى تلوث شرفه ، وتسمه بميسم الضعة والهوان .

ومن الجدير بالذكر أن قول أبى طالب المكى وقول الغزالى - إن صح تسميته قولا - قد ظل رهين كتابيهما ، لم ينقله أحد ولم يعرض له عالم بتقريظ أو توهين إلى أن جاء الدكتور زكى مبارك فنفخ فيه من تمويهه وتلبيسه حتى غرّ به أقواماً فتبعوه وتقلدوه وفى مقدمتهم الدكتور أحمد أمين والمستشرق بروكلمان .

وكان من قدر الله لإظهار الحق المبين فى هذه المسألة : أن البيهقى قد نقل فى مناقب الشافعى عن الربيع أنه قال : إن الشافعى قد ألف بمصر كتاب الأم فى ألفى ورقة . وهو قول عظيم يلقف ماصنع المنكرون ، ويدحض أقوالهم ويمحق باطلهم الذى جاؤا به من عند أنفسهم بغيا بغير الحق ، أو تقليداً دون دون حجة قاطعة ، أو برهان ناهض .

وإنى موردٌ نص البيهقى بسنده ؛ ليكون القارئ على بينة من أمره .

قال البيهقى ٣/٢٩١ : « قرأت فى كتاب أبى الحسن العاصمى ، رحمه الله ، عن الزبير بن عبد الواحد ، قال : حدثنى محمد بن سعيد ، قال : حدثنا الفريابى — يعنى أبا سعيد — قال :

قال الربيع بن سليمان : أقام الشافعى هاهنا أربع سنين ، فأملى ألفا وخمسمائة ورقة .

وخرج كتاب « الأم » ألفى ورقه .

وكتاب السنن ، وأشياء كثيرة ، كلها فى أربع سنين » .

وما أظن المنكرين وتابعيهم بغير إحسان يجادلون البيهقى فيما قرأ وروى أو يمارون الربيع فيما شهد ورأى .

وأى شهادة أكبر عند العقلاء من شهادة الربيع بأن الشافعى هو الذى ألف كتاب الأم كله ، وأنه سطره فى ألفى ورقة ؟

ولقد أحسن البيهقى صنعا فى سرده لأسماء الكتب التى اشتمل عليها « الأم » ١/٢٤٧–٢٥٤ وصدر سرده بقوله : « ومن الكتب التى هى مصنفة فى الفروع ، وهى التى تعرف بالأم . . . . »

وتسمية البيهقى لأسماء « كتب الأم » لها خطرها وقدرها ، ولا مناص من تصديقه فيما قال ؛ لأنه رجل جمع كتب الشافعى وأنفق حياته فى درسها وترتيبها وتصنيفها ، والانتصار لحديثها ، ونشرها بين الناس ، واتخاذها أساسا لمصنفاته حتى بالغ إمام الحرمين فى قوله عنه : « ما من شافعى إلا وللشافعى فى عنقه منة

إلا البيهقي ؛ فإن له على الشافعي منة لتصانيفه في نصرة مذهبه وأقاويله » .

ولو لم يكن في نشر كتاب « مناقب الشافعي » إلا هذه الفائدة الخاصة بكتاب الأم ـ لكان ذلك مغنما عظيما يضع الصواب في نصابه ، ويرد الحق لأصحابه ، فكيف وقد اشتمل على فوائد لا تحصى تتعلق بحياة الشافعي الخاصة والعامة ، وحياة أهله وصحبه وتلاميذه ، وتضمن فوق ذلك دقائق علم الشافعي في التفسير والحديث والفقه ، واللغة والأدب ، وغير ذلك .

* * *

ولقد كان « مناقب الشافعي » للبيهقي المصدر الأول لكل من أتى بعده ، وترجم للشافعي بترجمة مفردة أو غير مفردة .

وممن اعتمد عليه ، وأكثر من النقل عنه : ياقوت الرومي في معجم الأدباء ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ، وابن كثير في كتابيه : طبقات الشافعيين ، والبداية والنهاية ، والنووي في تهذيب الأسماء واللغات ، وفخر الدين الرازي في مناقب الشافعي ، والسبكي في طبقات الشافعية . وغيرهم كثير .

وقد لخص ابن حجر أكثر فصوله في كتابه « توالي التأسيس ، بمعالي ابن إدريس » وقال في مقدمة هذا الكتاب : « إن البيهقي صنع لكتاب المناقب ذيلا » .

ولم أر من ذكر ذيل المناقب هذا بأي لون من ألوان الذكر . ولا يتخالجني ريب في أن ابن حجر يقصد بهذا الذيل كتاب « نوادر الحكايات عن الشافعي » الذي ذكره البيهقي في المناقب حيث يقول ١/١٤٢ « . . . وقد أخرجته في « نوادر الحكايات » في آخر الكتاب » .

وذكره أيضا بقوله ٢/٣٦٨ « وله حكايات لم يتفق إخراجها فى كتاب « المناقب » وأخرجتها فى جزء » .

و « نوادر الحكايات » هذا هو التالى فى النشر لكتاب المناقب ، إن شاء الله ذلك وقدّره .

* * *

وقد اعتمدت فى نشر المناقب على ثلاث نسخ :

النسخة الأولى ورمزها (ا) كتبها « أحمد بن عبد الخالق بن محمد بن عبد الله بن أبى هشام ، القرشى ، الشافعى ، الدمشقى » وكان فراغه من كتابتها فى اليوم الثامن والعشرين من شهر جمادى الأول ، سنة أربع وتسعين وخمسمائة وهى نسخة كبيرة الخط ، حسنة النص ، وعدد أوراقها ٢٣٤ ورقة .

والنسخة الثانية ، ورمزها (ح) كتبها « معمر بن يحى بن أبى الخير بن عبد الغنى ، المكى ، المالكى » وقد أنهى كتابتها فى عصر الجمعة الثالث من شهر ربيع الآخر ، من شهور سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة .

وقد قوبلت فى تسعة وعشرين مجلسا .

وجاء فى هامش الورقة الأخيرة : « بلغ مقابلة فى المجلس التاسع والعشرين ، فى شعبان عام ثلاثة وسبعين وثمانمائة ، بالمسجد الحرام ، على غير أصل » وعدد أوراقها ١٧٦ ورقة ، وخطها دقيق ، ولكنها فى جملتها أصح من النسخة الأولى .

والنسخة الثالثة ، ورمزها (ه) وليس فيها مايدل على اسم ناسخها ولا على تاريخ نسخها ، بيد أنه جاء على الصفحة الأولى منها عبارتان : الأولى

فوق العنوان ، والثانية تحته ، ونص الأولى : « من كتب حجى الحسبانى » ونص الثانية : « من كتب يحيى بن حجى الشافعى » .

والأول هو : حجى بن موسى بن أحمد السعدى ، الحسبانى ، الشافعى ، فقيه الشام ومحدثها . ولد سنة ٧٢١ وتوفى سنة ٧٨٢

والثانى هو : يحيى بن محمد بن عمر بن حجى بن موسى بن أحمد السعدى الحسبانى ، الدمشقى ، المعروف بابن حجى .

ولد بدمشق سنة ٨٣٨ وتوفى بالقاهرة سنة ٨٨٨ وصلى عليه بالأزهر ودفن بالقرب من ضريح الشافعى .

وهذه النسخة جميلة الخط ، حسنة التنسيق ، ولكنها أقل النسخ شأنا ، وأخفها وزنا ؛ لكثرة ما فيها من تصحيف وتحريف ، ولذلك لم أثبت فروقها ، لأنه لا جدوى من إثباتها الا زيادة حجم الكتاب

وهذه النسخ الثلاث مصورة عن أصولها المحفوظة فى مكتبة أحمد الثالث بتركيا . وأرقامها حسب توالى ذكرها ٢٧٠ حديث ، ٨١٩ ، ٧١٨ .

وإنه ليطيب لى بهذه المناسبة أن أتوجه بالشكر الجزيل لجميع القائمين على شئون المكتبات فى تركيا ؛ لحسن عنايتهم بما أطلب تصويره .

وأرجو أن تظل معونتهم شاملة لجميع الباحثين ، وأن لا يصرفهم عنها مايفعله بعض السفهاء هنا أو هناك ، كما حدث أخيراً ؛ فإن وضع العوائق أمام الراغبين فى تصوير الكتب أمر يجافى سنن العلم ، وينافى مواجب الأخوة ، ولا ينبغى لكرامة الدولة .

وما إخالهم إلا عاذلين إلى ما كانوا عليه من معونة العلماء وتلبية طلباتهم

أنّى كانوا من أرض الله . وفقنا الله جميعا لما فيه رضاه ، وجمع قلوبنا على حب تراثنا والتعاون على نشره على أساس علمى قويم .

* * *

ولعل من طرائف الموافقات : أن أكتب مقدمة مناقب الشافعى فى آخر شهر رجب من سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وألف من هجرة المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وقد كانت وفاة الشافعى فى آخر يوم من شهر رجب سنة أربع ومائتين .

فليكن عملى فى هذا الكتاب تحية متواضعة للشافعى ، فى ذكرى مرور ألف ومائة وسبع وثمانين سنة على وفاته .

طيب الله ثراه ، وتقبل عنه أحسن ما عمل ، كفاء ما بذل من وقت وجهد فى فقه الكتاب ، ونصر السنة ، وتجليتهما للناس فى أسلوب بارع ، وحوار رائع ، يبهر العقول ، ويسحر النفوس ، ويهدى إلى سواء الصراط م ؟

القاهرة فى يوم الإثنين ٣٠ من رجب ١٣٩١ هـ
٢٠ من سبتمبر ١٩٧١ م

السيد أحمد صقر

البيهقي في سطور

- هو أبو بكر : أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي[1] .
- ولد في شعبان سنة ٣٨٤ في « خُسْرَوْجِرْد » إحدى قرى « بَيهَق » بنواحي « نَيْسابُور » .
- مات في جمادى الأولى سنة ٤٥٨ .
- أول سماعه للعلم سنة ٣٩٩ .
- رحل إلى العراق والجبال والحجاز .
- كان ورعا زاهداً تقيا ، تابع الصيام مدة ثلاثين سنة .
- تتلمذ على طائفة من العلماء من أشهرهم الحاكم (٣٢١ - ٤٠٥) مؤلف المستدرك على الصحيحين . وابن فورك الأصبهاني ، المتوفى سنة ٤٠٦ وأبو عبد الرحمن السلمي (٣٠٣ - ٤١٢) وأبو منصور البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ وأبو محمد الجويني ، المتوفى سنة ٤٣٨ .
- تتلمذ عليه جماعة من أشهرهم : أبو عبد الله الفراوي (٤٤١ - ٥٣٠) ، وقد روى عنه كثيرا من كتبه ومنها « مناقب الشافعي »

ومنهم ابنه : إسماعيل بن أحمد البيهقي ، المتوفى سنة ٥٠٧ . وحفيده : عبيد الله بن محمد بن أحمد البيهقي ، المتوفى سنة ٥٢٣ . وأبو المظفر القشيري (٤٤٥ - ٥٣٢) وهو من رواة كتاب المناقب .

- ألف كتبا كثيرة ، طبع منها : السنن الكبرى ، وأحكام القرآن ، والأسماء

---

(١) ترجمت له في مقدمة كتاب معرفة السنن والآثار .

والصفات ، والاعتقاد ، والقراءة خلف الإمام ، وحياة الانبياء فى قبورهم ، ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، صلى الله عليه وسلم ، ومعرفة السنن والآثار .

- قال عنه الذهبى (٦٧٣ - ٧٤٨) : « قلّ من جود تواليفه مثل الإمام أبى بكر البيهقى ، فتصانيفه عظيمة القدر ، فينبغى للعالم أن يعتنى بها)
- قال النووى : (٦٣١ - ٦٧٦) : « المصنفات فى مناقب البيهقى كثيرة ، ومن أحسنها وأثبتها كتاب البيهقى ، وهو مجلدان ضخمان، مشتملان على نفائس من كل فن ، استوعب فيهما معظم أحواله ومناقبه ، بالأسانيد الصحيحة ، والدلائل الصريحة »